
٤
الزمردة
زاهرة
جمال شاهين

المكتبة الخاصة

عمتي زاهرة

النشر الاول ١٩٩٥

النشر الاخير ٢٠١٨



الجحود



على سرير الموت كان والد علي يحتضر ، وجلس علي الفتى الصغير بجواره ينظر إليه وهو يكلم عمه ويوصيه عليه ، والعرق الغزير يتصبب من جبين المحتضر فسمعه يقول : عدنان يا أخي أوصيك على صغيري علي فكن له أبا ؛ وليكن أولادك له أخوة ، واهتم بتربيته أحسن تربية ، وعندما يكبر ويشتد عوده ادفع له البستان، وزوجه إحدى الحسان ، وإن كانت إحدى بناتك فذلك خير لك وله ، ولا تطمع يا أخي العزيز بأمواله وبستانه ، وإياك والظلم والعدوان ، فعاقبته مُظلمة في الدنيا والآخرة .

ووعده عدنان خيرا ، وأنه سيعتني بعلي عنايته بأولاده ، فلما سمع المحتضر هذا الوعد ابتسم ابتسامة الوداع ، ثم التفت لولده فقال : يا ولدي يا علي كن لعمك طائعا ، ولا تحزن عليّ كثيرا ، فأخي بمثابة الوالد لك .

وأخذ يكيل المديح والثناء على أخيه ، وقد اطمأن باله على ولده الصغير ، ثم خرج عدنان بعدما تحمل الوصاية على ابن أخيه ، فالتصق علي بوالده أكثر ، فوضع الوالد الميت يده على رأس وشعر ابنه يداعبه بها وهو يقول : كن رجلا يا ولدي ، واصبر على مصائب الدنيا ، ولا تجزع لحوادثها ، وها أنا قد أوصيت عمك عليك ، وعاهدني على الإحسان إليك ، ومع ذلك فأخي عدنان جشع حسود ، فأخاف أن يأكل أموالك ، فإن حصل ذلك فارحل لمدينة القمر ، وأسأل عن امرأة اسمها " زاهرة "، فهي ستنفعك إن ضاقت بك الدنيا ، لا تنس يا ولدي مدينة القمر والمرأة زاهرة ، فهي عمة لك ، وهي تعرف كيف ستعيد لك حقك إن ظلمك عمك العزيز ؟.. وأنا أرجو الله العزيز الحكيم أن لا يظلمك ويخذلك .. فابن آدم فيه طمع .

فعانق الولد والده بصمت حزين ، ولم يأت المساء حتى كان عمران يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وفارق الدنيا تاركا ولده وحيدا ، ليس له إلا الله العظيم وحده ، وبعد أن انتهت الأتراح بدفن عمران ، انتقل علي للسكن في بيت عمه عدنان مع أولاده كفرد منهم ، وقد فرح له الأولاد وحاولوا رفع الحزن عن قلبه بقدر المستطاع ، وتركوه مع حزنه ، واستمر ذلك شهرا من الزمان ، وكما هو معلوم أن الحزن يخف ويذهب مع الأيام ، فكيف

بحزن فتى صغير ؟! فدخل عليه العم قائلا : يا ابن أخي كفاك حزنا وأسفا على والدك ، وهذا حال الدنيا ، أناس تولد وأناس تموت ، فاهتم بنفسك وعافيتك ودع الضعف والخور عنك واستعد غدا لتذهب معنا إلى الحراثة .

ونهض علي مبكرا مع عمه وأولاده واشتغل معهم في حراثة الحقول ، فأتقن الحراثة وراء الدابة ، وكان يرفع الماء من جوف البئر ، ويشاركهم في قطف الثمار وعصر الزيتون وإطعام الأبقار والأغنام ، وأحيانا يرسله عمه مع الرعاة فيذهب بدون أناة ، وأحيانا يرافق الحطابين للغابات لجلب الحطب ، فكان الفتى يعمل بجد ونشاط دون كلل أو ملل ، وظلت حاله على هذا المنوال حتى بلغ سن الرشد ، فذكر لعمه رغبته بالاستقرار بمال والده عمران ، فزجره عمه وادعى أنه ما زال صغيرا لم يبلغ مبالغ الرجال ، ولا يستطيع تحمل المسؤولية ، فصبر علي سنة أخرى وطلب حقه من عمه ، فغضب عليه وأنبه وقال : لي أكثر من سبع سنوات أطعمك وأسقيك وأكسيك فإن كان لأبيك مال فقد أنفقته عليك .

رد علي قائلا : يا عمي حقي أكثر من ذلك .. بستاني ودوابي ألا تزيد على ما أنفقته عليّ ؟ .. هل نسيت العهد الذي قطعته على نفسك عند موت

أبي ؟

ضحك عمه وقال : لم أنس يا ابن أخي ، وهل قصرت معك كل هذه المدة ؟ ومن أين صار لك هذا الجسم وهذا العضل ؟ يا ولدي أموالك أنفقتها على العناية بك فلم يبق لك في ذمتي إلا الشيء اليسير.

فرفع علي صوته قليلا وهو يقول :يا عماه ! ..حرام عليك أن تأكل أرضي ومالي ، الظلم ظلام..وهل أمضيت السنوات الطوال نائما يا عمي لقد أمضيتها في العمل ؟!



فلما سمع عدنان هذا الكلام غضب واحتد وصفع الشاب على وجه وهو يقول : تأدب أيها الشقي ! أنا آكل مال الأيتام هذا جزاء اعتنائي بك ، ولو أهملتك وتركتك تعمل عند الناس أجيرا بقوت يومك لكان هذا خيرا لي .. اغرب عن وجهي أيها العاق .

وضع علي يده على خده المصفوع ، وقد طفرت الدموع من آماق عينيه ،

وهرب في البساتين ، ودخل عدنان البيت غاضبا ، وهو يزمجر ويشتم ويلعن ، وأما علي فإنه جلس تحت شجرة يبكي ويناجي آباه على ما حل به من عمه ، وبينما هو كذلك سمع صوتا ناعما من خلفه يقول بخوف وحذر : علي .. علي يا ابن العم لا تحزن واصبر على الأذى .

التفت خلفه فرأى ابنة عمه سعاد فقال : سعاد أنت هنا ! .. أبوك يا سعاد .. يريد ..

فقاطعته قائلة : سمعت كل شيء يا علي ، وإنني آسفة لك ومتألمة عليك .. فأبي طامع في أرضك ، وهو من زمان كان ينتظر أن تكلمه في ذلك .

فقال بحزن عميق : يا سعاد فكيف ولو خطبتك من أبيك فماذا حل بي ؟

قالت : الأمور تحتاج لصبر وانتظار يا علي .

وضع يده على خده وقال : صفعني أبوك يا سعاد ظلما .. صدقي لو كنت مذنبا وفعل ذلك لعذرته .. سعاد ماذا أفعل ؟؟

سكتت برهة ثم قالت : الحق لا أدري ماذا تفعل ؟ .. ولكن يا علي ما رأيك أن تطلبني منه لعله يغير رأيه عندما يرى أن الأموال لن تخرج من حيز الأسرة ؟

فكر علي قبل الإجابة ثم قال : لا أدري كيف سأفعل ذلك ؟ كنت أريد أن أخاطبه بذلك ؛ ولكني خفت هذا الأمر وقلت آخذ ميراثي ، ثم

أكلمه بعدئذ في هذا الشأن .. سعاد دعي أمك تحدثه بشأن زواجنا .

فتساقطت الدموع من عيني الفتاة وتنهدت بعمق ثم همست : آه يا علي ما أقول لك لقد صارحت أمي برغبتك هذه ؛ ولكنها نفرت وقالت بأنك شاب فقير لا حول لك ولا قوة ، فقلت لها إنه رجل قوي العضل نشيط الحركة يستطيع الكسب وله بيت وأرض وحيوان ، فنفت ذلك فهي من صف أبي .. حاول يا علي مع أبي لعله يشفق عليك .

فقال : سأفعل ذلك من أجلك يا سعاد ؛ لأنك تشفقين عليّ دون إخوتك ، كنت تحسني إليّ بالطعام ، وتجلسين مع هذا الغلام اليتيم .. ولكني سأغيب عن البيت أياما حتى تسكن الأوضاع ، ثم أخاطب والدك على أمل الرضا .

فقالت : وإن لم يرض .

فقال : سأدع البلد وسوف أذكر لك يومها سرا ، فاعلمي يا سعاد أن أبي وهو يموت بين لي طمع وجشع أبيك من أجل ذلك أخذ عليه عهدا وأوصاه كثيرا بي ، أما الآن فسأذهب إلى أحد أصدقائي لأنام عنده بضعة أيام.

ودعها علي وشكر لها وقوفها بجانبه في همه وغمه ، وانصرف إلى بيت صديقه جعفر .

علم أهل القرية بقصة علي وعمه عدنان الذي جحد ميراثه ، فلام الناس العم ، وتكلم جعفر مع كبير القرية وطلب منه التشفع لعلي عند عمه ، وأن يخطب ابنته سعاد لعلي ، وأبدى له رغبة علي بمصاهرة عمه والتقرب إليه ، فزار شيخ القرية بصحبة جماعة من أهل الخير السيد عدنان ؛ ولكنه أنكر أي حقوق لعلي عنده ، وأنه بذلها عليه خلال السنوات الماضيات ، فذكروا له موضوع الزواج من ابنته لتعود المياه إلى مجاريها الصحيحة ، فغضب على ابن أخيه واستصغره وحقره أمام الوفد ، ورفض أي مصاهرة أو صلح بينهما ، وتأسف لهم بعدم التجاوب معهم ، وأخبر الشيخ الكبير جعفرا وعليا بفشل مهمته ، وأكد لهما جحود العم بأي حقوق لعلي ، ورفضه أي نسب بينه وبين ابن أخيه ، فلما سمع علي كلمات الشيخ الكبير ، ذكر لهم كلمات أبيه له وهو على فراش الموت ، وفي اللحظات الأخيرة له من هذه الحياة ، ثم أخبرهم بعزمه على المسير إلى مدينة القمر للبحث عن عمته زاهرة كما أوصاه والده ، فدهشوا لهذه الوصية وخافوا عليه غوائل الطرق والهجرة ، وحثوه على الصبر والتأني لعل الله يحدث أمرا ، ووعدوه بالمساعدة حتى يتحسن أمره ؛ ولكنه أصر على السفر ولقاء عمته ليتعرف عليها ، وطلب من صاحبه أن يوصل خبر رحيله لابنة عمه ويحثها على الإنتظار ، واستلف من

صاحبه جعفر ثلاثة دراهم ، ومع انشقاق الفجر كان يغادر القرية متوجها إلى مدينة القمر .



وبعد مسير طويل في إحدى الطرق توقف عند بئر ماء يستريح ، فأخرج ما تزود به من الزاد فأكل ثم شرب ثم ملأ القربة الصغيرة التي يحملها ، وبينما هو يهم بالمسير فإذا بكلب أحمر ضخم يقترب من البئر ، وهو يلهث بشدة من شدة العطش ، فدلى علي الرشاء في البئر ونزح له ماء فسقاه ، وألقى إليه كسرة خبز ، فشكره الكلب على معروفه ، وأعطاه بضع شعرات من جسده وهو يقول :

يا هذا هذه الشعرات هدية مني إليك ؛ فإذا احتجت لمساعدتي في يوم من الأيام فاخرج شعرة منها واقذفها في الهواء أو احرقها فسوف تصلني هذه الشعرة أو رائحتها وتخبرني بمكانك ، وأكون عندك في الوقت المناسب .



أخفى علي الشعرات في ثيابه ، وشكر الكلب الأحمر على معروفه ، وانصرف كل لغايته ، فسار علي متجها إلى مدينة القمر .

كان علي إذا أدركه الليل ولم يدخل قرية أو مدينة يبات فيها يبحث عن

شجرة كبيرة ويصعد عليها ليرقد بين أغصانها خوفا وحذرا من سباع البر ، فأدركه الليل ذات ليلة وهو في أحد الوديان فتحرى عن شجرة عالية يقضي ليلته عليها ، فلما وجد ضالته تسلقها وعلى أحد الأغصان الغليظة جلس وأسند جسده على جذعها الضخم ، وهيأ نفسه للنوم ، وما غفى قليلا من الوقت حتى سمع في سكون الليل البهيم كلاما بشريا ، فأصغى رأسه بعد أن تنبهت حواسه جيدا ؛ فإذا الصوت يأتي من أسفل الشجرة التي يرقد عليها ، فقلب رأسه للأسفل واستمع ، وقد شاهد فانوسا ورجالا يتحدثون حول الشجرة التي يرقد فوقها ، فتوترت أعصابه وهمس لنفسه " لعلهم مسافرون جلسوا يستريحون تحت هذه الشجرة الكبيرة " ؛ ولكنه بعد أن سمع بعض كلامهم غير رأيه ، وأدرك أن هؤلاء عصابة من اللصوص ، وقد سمع أحدهم يقول : أيها السادة .. اخبرني حرب عن الموضع الذي يضع الأمير فيه أمواله من ذهب وفضة ، فعلينا أن نزحف إلى البلدة بعد نصف الليل ، فنكون على طرف المدينة بعد ساعتين من المسير ، وهناك سنجد حربا في انتظارنا ، ونزحف للبيت الذي يضع الأمير فيه أمواله ، وسنجد حارسين فنخلص منهما إما بالموت وإما بالتقييد وهو الأفضل ونسرق ما نستطيع حمله ونعود إلى هذه الشجرة .

ولما انتهى الزعيم من توضيح خطته قام أحد أفراد العصابة بوضع طعاما وشرابا أمام الرجال ، وانكمش علي جيدا حتى لا يخرج منه صوت يفضحه أمام هؤلاء المجرمين ، وبعد نصف الليل ابتعدوا عن الشجرة فاحتار علي بما يفعل .. هل يهرب قبل أن يعودوا ؟ أم يتبعهم ويفسد عملهم ؟ .. أم ينتظر حتى يعودوا ويعرف مكان دفن الكنز ؟ .. فاختار الرأي الأخير وهو الانتظار وقضاء باقي الليل على الشجرة ، ثم يتابع مسيره إلى مدينة القمر .



ومع إشراقة الشمس الأولى عاد رجال العصابة ، وهم يحملون أكياسا محملة بالأموال الذهبية ، ولما استراحوا من المشي تقدم حرب من زعيم العصابة وقال : سوف أعود للمدينة أتابع الأخبار ، وكما ترى فإن الضربة تمت حسب الاتفاق ، أليس كذلك أيها الزعيم ؟

وجاء بعد حين رجال يحملون الطعام ، فأكل القوم وانصرف حرب تجاه المدينة ، وقال الزعيم : فلنصعد حيث الكهف ، ونخفي فيه الأموال ، وننتظر ماذا سيفعل حاكم المدينة قبل اقتسام هذا المال الكثير ؟

وصعدوا الجبل ، وكان علي يفكر بأمره وأمر هذه العصابة ، يفكر بالخطر المحدق به إذا رأوه ، ويخشى في نفس الوقت إن لم يسارع في تسليمهم للعدالة أن يزدادوا عتوا وفسادا في الأرض ، فشجع نفسه ورأى أن يعرف مكان الكهف مكان اخفاء المال ، ومن ثم السير للمدينة وإخبار أمرهم للحاكم ، فهبط عن الشجرة وأخذ يزحف وراء القوم حتى عرف الكهف الذي أخفوا المال فيه ، وكر عائدا جهة المدينة ، وعند دخول الظلام كان يدخلها ، وبدأ يسأل عن مكان يأوي إليه ، فصدف رجلا في الطريق فاستضافه الرجل في منزله وقال : تعال عندي أيها الغريب .. من أي البلاد قدمت ؟

فذكر له علي أنه مسافر إلى مدينة القمر زائرا لعمة له هاجرت إليها منذ سنوات طويلة ، فقدم له الرجل المائدة وسامره بعض الليل ، ثم تركه ينام .

وفي الصباح أتى المضيف مسلما ومرحبا فقال له علي : يا صاحبي يا شمر سأقص عليك حكاية صدفتها في الطريق .

وروى له قصة اللصوص ، ولما انتهى علي من كلامه قال الرجل : لم نسمع بسرقة خزانة الأمير ؛ ولكن لي صديق يعمل عند أمير البلاد ، سوف أزوره وأسمع منه ، ثم أجمعك به إن كان هناك مال مسروق من

خزانة الأمير .. فاذهب وتجول في المدينة وعند الظهيرة نلتقي هنا في هذا البيت فاحفظ المكان جيدا يا ولدي .

وافترقا على أمل اللقاء ظهرا ، وقام علي بالتمشي في أسواق المدينة حينا من الوقت ، ثم قفل عائدا لبيت مضيفه على حسب الاتفاق بينهما .



فوجد شمرا يجلس مع رجل آخر ، فسلم عليهم ، ولما عادوا للجلوس قال شمر : يا ولدي يا علي هذا صديقي جيزان يعمل في ديوان الأمير ، فقد ذكر لي أن قصتك صحيحة ، وأن ثلاثة أكياس فقدت من خزانة الأمير ، ولما كشفت له أمرك دخل على الأمير ، وأخبره بأمرك وكلفه بالذهاب معك لإحضار المال خفية بدون أن يشعر سكان المدينة بالأمر لخطورة الأمر ، وحتى لا يشعر اللصوص باكتشاف خبرهم ، فالسيد جيزان سيهتم بالموضوع ، ودفع جيزان عقدا من الذهب والخرز البراق لعلي وهو يقول : وهذا العقد هدية من الأمير لك أيها الشجاع جزاء على الشجاعة التي تتصف بها يا أخ علي .. فإذا استطعت أنا وشمرا إحضار الأكياس ، فبها ونعمت ، وإن رأينا الأمر يحتاج لفرسان الأمير ، سأعود

وآخذ كوكبة منهم وحتى لا نؤخرك عن زيارة عمتك سنتحرك في المساء نحو الوادي ثم الجبل.

وعلي شاب طيب يحسن الظن بالناس كثيرا ، وقد اطمئن لمضيفه شمر ، وقد أكل من طعامه وبات في بيته ، فسار بهم حيث المغارة التي أخفى اللصوص فيها المال ، وتابع رحلته مع الفجر إلى ديار عمته زاهرة ، وبينما هو يسير قريبا من إحدى الغابات التي في دربه سمع صراخ فتاة تستغيث ، فاقترب بخفة نحو مصدر الصوت ؛ فإذا رجلان وبينهما فتاة شابة صغيرة مقيدة بالحبل ، وهي تصرخ والرجلان يحثانها على الصمت ، وأنه لا أحد في الغابة سواهم والحيوانات ، وقال لها أحدهم : سيأتي ابن عمك فهد ، وينتهي دورنا أيتها الفتاة فتعقلي وكفي عن العويل والبكاء ، فقلوبنا صماء لا تعرف الشفقة .

فازداد صراخ الفتاة ، وأدرك علي أن هذه الفتاة مخطوفة وأن هذين الرجلين خطفاها لقريب لها اسمه فهد ، ففكر بمساعدتها والوقوف إلى جانبها ، وفكر بالانقضاض على الرجلين ؛ ولكنه خشي أن يتفوقا عليه ، فهيئتهما تدل على أنهما مجرمان عتيدان أو ربما يحضر صاحبهما المجهول ، فقرر التريث ومراقبتهما حتى يجد فرصة سانحة ، ملأ الظلام المكان فسمع أحدهم يقول : تأخر الأمير فهد بالمجيء ما العمل يا كركم ؟ ..

هل تظن أنه ضل الطريق ؟ .. ما رأيك بأن تذهب وترقب الطريق وتنظر يمينا وشمالا لعلك ترى شبحه قبل أن يشتد الظلام أكثر من ذلك ؟

وقف المدعو كركم وقال : أمرك يا صاحب .. بس احرص عليها جيدا .. فالحق أن الأمير فهدا تأخر كثيرا ، فلها بين أيدينا نصف نهار وأنا طهقت من عويلها ونباحها .

جاءت الفرصة السانحة لعلي فبعد ابتعاد خطوات الرجل قليلا بدأ يستعد للهجوم ؛ ولكنه قبل أن ينفذ الخطة سمع خطوات الرجل مرة أخرى فهمس :" هل جاء فهد ؟! " ؛ ولكنه سمع الرجل المدعو كركم يقول لصاحبه : لا أحد في الطريق يا جدعو فسأتقدم للأمام أكثر لعلني أجده في الطريق أو لعله تعرض لحدث أعاقه .

صاح جدعو : افعل ما تراه مناسبا .. ولكن لا تنس أنني هنا ، وأنا لا طاقة لي على طول الانتظار هل تسمع ؟

ابتعد كركم من جديد وقال علي : الفرصة تتحسن أكثر .

فسمع الرجل يقول للفتاة : سأنام قليلا يا مي أرجوك لا تزعجيني بصوت بكائك وصراخك .

شاهده علي وهو يتمدد على الأرض ، وقال : الحمد لله ، فالله يهيئ لي الفرصة لإنقاذ هذه المظلومة .

وتقدم نحوهما فسمع شخير الحارس أو الخاطف ، فشعرت به الفتاة فأشار لها إشارة بالصمت حتى اقترب منها فحل وثاقها ، وقام بتربيط الرجل به الذي استيقظ فوجد القيد حول قدميه ويديه ، ثم قال علي للفتاة : اتبعينني قبل أن يأتي صاحبه حتى أوصلك لأهلك .

ثم خطر على باله أمر فنفذه سريعا ، وضع خرقة في فم الرجل ، وكمم فاه وألقاه في مغارة ، وأخذ الفتاة وهو يقول : أنا غريب أرجو أن تساعديني بتوصيلك لأهلك ولا تخافي مني .



فتشجعت الفتاة وشكرته وقد اطمأنت على مقصده ، فساروا نحو بلدتها ، وفي الطريق عرضت حكايتها على منقذها علي التي تتلخص بأنها ابنة أحد الأمراء ، ولها ابن عم يهيم بها عشقا وهوى وراغب وطامع بالزواج

منها ؛ ولكنها صدته أكثر من مرة ، فاتفق مع هذين الوغدين على خطفها ، فساقوها إلى هذه الغابة حتى يحضر الأمير الوغد ، ويسير بها إلى بلدة أخرى ويرغمها على الزواج منه ، وأعلمته أن طريقة خطفها تمت في أحد بساتين عمها السلطان والد فهد .

ومع الصباح أشرف بها على أهلها الذين فرحوا بعودتها سالمة بدون أن تمس بأذى ، ولما شرحت لأبيها القصة حنق وضاق صدره على ابن أخيه ، ودخل على أخيه يشتكي له فعل ابنه القبيح ، فتوعد الرجل ابنه بسوء العقاب ، وقاموا بالثناء على علي وعلى غيرته وشجاعته ، وسمعوا بعضا من قصته ، فمنحه السلطان جوهرة ثمينة ونادرة المثال وسيفا مرصعا بالياقوت والذهب ، ووهبه والد مي حصانا عربيا أصيلا ، فشكرهما شكرا تاما وودعهما ، وقال له الأمير وهو يغادر البلدة : أيها الشاب الشجاع إن احتجت لشيء فلا تنسى أن تذكره لنا .. فنحن لا ننسى جميلك معنا أبد الدهر .. ولا ما فعلته مع ابنة أخي من حفظ لكرامتها وكرامتنا .

واعتلى علي صهوة الجواد وتقلد بالسيف وأخفى الجوهرة في جيبه ، ومضى نحو مدينة القمر ليرى عمته زاهرة ، وبعد أيام وأيام وصل إليها فوجدها مدينة مزدحمة بالبشر ، وعامرة بالأسواق الكبيرة والكثيرة ، فسأل عن مكان يستريح فيها قبل أن يباشر البحث عن عمته في هذه المدينة الواسعة ، فنزل في فندق كبير وتحفظ على جواده الأصيل في اصطبل الفندق ، واستأجر غرفة ، وطلب من أجود الطبيخ والشراب فأكل ونام .

ولما أشرقت الشمس وبدأت الحركة والحياة تناول طعاما ، ثم اجتمع بصاحب الفندق وسأله عن امرأة اسمها زاهرة ، بعدما روى له شيئا من قصته الغريبة ، فبين له صاحب الفندق أنه في هذه المدينة منذ سنوات قليلة ومن الصعب عليه أن يعرف سكان هذه المدينة منذ عشرين أو ثلاثين سنة ؛ ولكنه في نهاية الكلام نصح فقال: أيها الشاب .. اذهب إلى سوق التجار واجلس مع كبير التجار ، فهو رجل من المعتاد أن يكون من أكبر رجال السوق سنا واسمه المعلم الكبير شهوان أبو محمد وحييه نيابة عني ، وقد تجد بغيتك عنده أو عند أصحابه .

فأبدى علي امتنانه للرجل وأوصاه على حصانه خيرا بعد أن تفقده ،

وانطلق إلى سوق التجار وبعد جهد يسير كان يجلس بين يدي شيخ كبير يسمى شهوان ، فذكر له حاجته أنه أتى من بلاد بعيدة يبحث عن عمة له جاءت هذه البلاد ـ منذ عهد بعيد ـ اسمها زاهرة .

فقال كبير التجار : ولدت هنا وترعرعت وكبرت وتزوجت ومع ذلك لم أسمع في مدينتنا بامرأة بهذا الاسم ، فهو اسم غير مشهور بين نسائنا وبناتنا ، واعلم أن ذلك لا يعني أنه لا توجد امرأة بهذا الاسم في مدينتنا ، فرجال البلدة ينكحون نساء من بلاد أخرى .. فلربما لعمتك اسم آخر في هذه المدينة ؛ ولكني سأساعدك أيها الشاب في البحث واعتبر نفسك ضيفي .. اذهب مع الغلمان واجلب أغراضك كلها من الفندق ، فأنا عندي دار خاصة للغرباء وألف مرحبا بك .

حاول علي التعذر ؛ ولكن المعلم شهوان أصر وحلف وأرسل معه بعض الغلمان ، فذهب علي للفندق ، وسدد ما عليه من حق ، وشكر الرجل وأخذ الحصان وانطلق مع الغلمان إلى بيت ضيوف المعلم شهوان ، فأخذ الغلمان الحصان إلى موضع الخيول ، ثم أوصوا خدم البيت على ضيف المعلم شهوان ، وبعد العشاء كرر المعلم الترحيب بعلي ثم قال : يا ولدي سأزور بك عجوزا تسكن في عوالي المدينة ، فقد نجد عندها طلبتك .

وأمر بتجهيز بغلتين لهما فانطلقا إلى سكن العجوز والخادم بين أيديهما ، وبعد ساعتين من الزمان ، وصلوا منزلا فقيرا وقديما ، فقرع الخادم باب بيت العجوز ، وبعد حين سمعوا صوتا من خلف الباب يقول : من الطارق في جوف هذا الليل ؟!

فصاح الخادم بصوت مرتفع : أيتها الساحرة .. افتحي .. المعلم شهوان سيد سوق التجار على الباب .

قامت العجوز بفتح الباب وكانت تحمل بين يديها سراجا ، فقامت بالترحيب بهم ، وتناول الخادم المصباح منها وقال : ادخل يا سيدي .

فنزل الرجلان عن بغلتيهما وتبعا الخادم والعجوز إلى حجرتها الصغيرة السوداء من سناج المصباح ، ولما جلسوا دفع الخادم للعجوز صرة من المال بناء على إشارة سيده ، وقال المعلم لها : جئناك في حاجة ، واختصر لها قصة الشاب ، ثم قال : وإنه قادم من بلاد بعيدة يبحث عن امرأة فارقتهم منذ عشرات السنين اسمها زاهرة .. ولعلمي أنك أكبر عجوز في مدينتنا فقد تكونين سمعت بمثل هذا الاسم غير الشائع في بلادنا .. وأنت عجوز لا أظن بيتا في المدينة على كبرها لا تعرفيه أو لم تدخليه .

فراحت العجوز في ضحك طويل من كلام المعلم ، ولما استردت أنفاسها قالت : أحسنت يا معلم شهوان بقدومك عليّ ! .. فأنا أعرف امرأة بهذا



الاسم الجميل ..وأظن أنه لا يوجد بهذا الاسم أحد غيرها بمدينة القمر



فأظهر المعلم الفرح والدهشة وقال : عظيم ! .. من تكون تلك المرأة ؟!

فقالت العجوز ببطء وضعف وهي تنظر للشاب علي : ما تكون لك هذه المرأة أيها الشاب ؟

فابتسم علي وقال بسرعة : هي عمتي يا خالة .

فتحت العجوز فمها استغرابا ثم قالت : عمتك !!

فقال المعلم مستغربا من دهشة المرأة :ما أصابك أيتها العجوز ؟.. لماذا فغرت فمك دهشة ؟! .. فما الأمر الذي جرى لك ؟!

سكتت العجوز ردحا من الحين وقالت : يا معلم التجار .. أحقا تريدون الالتقاء بالسيدة الزاهرة ؟!

فصاح شهوان متعجبا : ولماذا أتعبنا أرواحنا وجئنا إليك أيتها العجوز الماكرة ؟! .. هل تعرفين سيدة بهذا الاسم ؟!.. أم تريدين المزيد من الدراهم ؟

فقالت العجوز وهي تقف : معلم شهوان اتبعني .

وزحفت لزاوية في الحجرة فتبعها الرجل وكله ريبة ، فهمست في أذنه : هل تحققت من أن السيدة زاهرة عمته ؟

فهمس المعلم : ولماذا أتحقق ؟! رجل غريب لجأ إليّ لأساعده في الوصول لعمته التي لم يرها ولا مرة في حياته ؛ ولكن والده عند الموت طلب منه الاتصال بها عندما يكبر .. فلما كبر جاء يبحث عنها في هذه المدينة حسب رغبة أبيه ، فإن كانت حية فهو راغب بلقائها ، وإن كانت ميتة يتعرف على أولاد عمته والسلام ..وأنا لا يهمني أن تكون عمته .. خالته أو جدته هل تعرفين تلك الزاهرة ؟!

قالت هامسة بقلق : ألا تعرف الزاهرة أيها السيد الكبير ؟!

أجاب وهو يكاد ينفجر من مماطلة العجوز وكثرة رغيها : لا وألف لا .

فقالت بصوت هامس : أم الحاكم لهذه البلدة اسمها زاهرة .

بغت شهوان وقال بصوت عال : ويحك ! .. ثم خفض الصوت : أم الشهد اسمها زاهرة .. هذه مفاجأة .. الآن معك حق في كل أقوالك المبهمة .. ألا يوجد غيرها بهذا الاسم في مدينتنا هذه ؟!

ردت بصوت خفيض : لا يا كبير التجار .. أهل هذه المدينة غير شائع بينهم مثل هذا الاسم .. يا شيخ التجار ! هل يعقل أن يكون رجل كهذا مغمورا لا يعرف أن عمته أميرة ؟!

همس المعلم : والله إن الأمر لغريب يحتاج للنظر والتدبر .. تعالي نتحدث معه !

فقال المعلم وهو يقترب من الشاب وخادمه : سيد علي .. ذكرت لي هذه العجوز اسم امرأة كالذي تتحرى عنه ؛ ولكن هذا الاسم تحمله سيدة عظيمة في بلادنا وبكلام مختصر أم مولانا الحاكم تحمل هذا الاسم ؛ ولكننا نعرفها بكنيتها أم الشهد ماذا تقول بما سمعت ؟!

أصاب علي الحيرة وقال : معكم حق في الدهشة والاستغراب ! وأنا مثلكم لم أر عمتي ولو مرة واحدة ، وكذلك لم يقل لي أبي أن عمتي أميرة .. ولكني فهمت من كلامه أنها تستطيع تحصيل حقي إذا ظلمني عمي ، كما كان يتوقع أبي ، واسمعوا الحكاية بالتفصيل ..نحن من أهالي مدينة العهد أبي تزوج كبيرا من امرأة من أهل البلدة ، وقد ماتت وأنا صغير لم أتجاوز السنوات الخمس الأولى ، وبعد سنوات مثلها لحق بها أبي ، وترك لي بستانا وماشية وقليلا من المال .. وأوصى عمي شقيقه على رعايتي حتى أبلغ مبلغ الرجال فيرد لي ميراثي ، ويزوجني من إحدى بناته إذا شاء ، وتعهد عمي أمامه عهدا حازما برعايتي بتنفيذ الوصية ؛ ولكنه قبل أن يودع الدنيا قال : ها أنا أوصيت عمك عليك وعاهدني على الإحسان إليك ، ومع ذلك يا ولدي فأخي عدنان جشع حسود وأخاف

أن يأكل أموالك ، فإن فعل ذلك فارحل لمدينة القمر واسأل عن امرأة اسمها زاهرة فستنفعك إن ضاقت عليك الدنيا ..لا تنس يا ولدي مدينة القمر.. والمرأة زاهرة فهي عمة لك ، وسوف تعرف كيف تحصل لك حقك إن ظلمك عمك ؟.. وأنا أرجو الله أن لا يظلمك ويخذلك فبني آدم طماع .. هذه وصية وكلام أبي قبل أن يفارق الدنيا ، ولا أظن أني نسيت منها حرفا .. وكفلني عمي وعشت مع أسرته ، ولما بلغت سن الرشد طلبت أموالي فأمهلني سنة ، ثم تنكر لي وادعى في النهاية أنه لم يبق لي شيء عنده ، وأنه أنفقها عليّ خلال مدة الرعاية ، وأبى أن يرد لي ميراثي ، وأبى أن يزوجني من ابنته ، وقام بعض الأفاضل بالتشفع لي عنده ، فأصر على أنه لم يبق لي شيء في ذمته ، وقد أصر على الرفض من الزواج من ابنته التي طابت لها نفسي .. فتذكرت كلام أبي ورحلت إلى هذه البلاد أيها الناس الطيبون .

فتكلمت العجوز فقالت برقة : قصة محزنة وعقوق مشهور .. اسمعوا يا قوم .. ولسوف أقابل هذه السيدة الكبيرة وأعرض عليها اسم أبيك واسم عمك ..

فهمس علي : عمران هو اسم أبي .

وتابعت العجوز : وأرى ما عندها ، ولن نقصر في عمل الخير أيها

الشاب.. أين تسكن الآن ؟

قال المعلم شهوان : هو نزيل عندي ضيف مكرم ، ونحن بانتظار أفعالك ، فعجلي بالأمر ..

ونفحها مزيدا من الدراهم لتقوى على القيام بالمهمة ، وودعوها ورجعوا للبيت في وقت متأخر من الليل ، وكان المعلم يقول للشاب : كان والدك غامضا في الحديث عن عمتك .. ألم تسمع المدعو عدنان يتكلم عنها ؟!

قال علي : لا .. لم أسمع عن هذا الاسم إلا من أبي العزيز فقط .

فقال المعلم : وهل تتوقع أن تكون عمتك أميرة ؟!

قال علي بحيرة : الأمر صعب أيها المعلم ..والأصعب ما الذي أتى بعمتي لهذه المدينة ؟! .. لقد أتعبتك معي أيها الوالد العزيز .



رد المعلم متواضعا : لا عليك يا ولدي ، إنما أحببت مساعدتك ، فأنا أحب فعل الخير ومساعدة الضعفاء والغرباء .. هل تجيد الفروسية

وركوب الخيل ؟ فقد حدثني الخادم بأنك تملك جوادا أصيلا وقويا .

قال علي : لهذا الحصان قصة أخرى سأقصها عليك فيما بعد .. وأنا أحسن الركوب على الخيل والتسابق بها ، فهذا أمر نفعله ببلادنا ، أما الفروسية لا أعرف من فنونها إلا النـزر اليسير ، ولم تتح لي فرصة لتعلمها

قال المعلم مشجعا للشاب الضيف : حسن !.. فبعد أيام قليلة سيجري سباق للخيل يحضره الحاكم الأمير شبيب ، ومن يتقدم المتسابقون يمنحه الملك وساما ، ويهدى إليه هدايا من علية القوم تغنيه الدهر ، وتبعد عنه شبح الفقر ، فتمرن على السباق وشارك في السباق وسأتحدث مع صديق لنا مسؤول عن ترتيب مهرجان السباق لتشارك فيه ، فإن فزت فالأموال التي تفوز بها تنفعك عندما تعود لوطنك إذا لم نوفق في الوصول لعمتك التي تبحث عنها .

أجاب علي وكله امتنان : بارك الله فيك يا معلمنا الكبير .. سأتأمل الحال وأرد عليك غدا .

فكر علي بما عرض عليه من المشاركة بحصانه في مسابقة الخيالة ، وكان يقول لنفسه : لعلي أعود بتذكار من هذه البلاد .. أفتخر به غدا على الأقران .

أبدى السيد شهوان سروره لموافقة علي على المشاركة ، فتحدث مع

صاحبه المشرف على المسابقات ، وبدأ علي يستعد ويتدرب ، ولم يكن يوم الاحتفال بعيدا ، فلما جاء اليوم الموعود انطلق إلى الميدان ميدان السباق على صهوة الجواد وبين يديه غلام من غلمان السيد شهوان يساعده عند الحاجة ، واصطف مع الخيالة ، وكان نظام المسابقة أن يتسابق كل عشرة فرسان معا ، والمقدم على مجموعته يتسابق مع المتقدمين من مجموعات أخرى عشرة عشرة وهكذا حتى يبقى عدد المجموعات أقل من عشرة فتجري بينهم الجولة الأخيرة فيظهر المتقدم عليهم جميعهم ، وجرى التنافس وأثبت حصان علي جدارته وتقدم في الجولة الأولى وفي الجولة الثانية وفي الجولة الثالثة ، وعند الجولة الأخيرة ظل سبعة فرسان ، وبعد استراحة ساعة من الزمان ، وقد أقبل حاكم المدينة وحاشيته بدأت الجولة الأخيرة بإذن الحاكم ، فكان الحظ حليف حصان علي ، وكان المعلم شهوان أكثر الناس سرورا بتقدم ضيفه بحصانه الجميل الرشيق على خيول منافسيه ، وتقدم علي بحصانه نحو الموضع الذي يجلس في الحاكم ، ثم قفز عنه محييا للحاكم الذي قلده وساما ذهبيا ، وقدم له غلمان الحاكم ثيابا ملكية ، وأهدي حصانا ملكيا ، وأخذ الأمراء والسادة بتقديم الهدايا له ، فكانت ثروة كبيرة تتجمع أمامه ، فحمد الله وشكر المعلم شهوان الذي شجعه على خوض هذه المنافسة النظيفة ، وطلب

المعلم شهوان من غلمانه حمل الهدايا للبيت الذي ينزل فيه علي ، ونقل الخيول العشرة التي كسبها إلى اصطبلاته ، وكان علي الغريب حديث الحاضرين لهذا السباق وعن فوزه وتقدمه على منافسيه ، وعاد علي للمنزل وهو منهك القوى مما بذله من جهد هذا النهار ، فأرسله المعلم شهوان إلى الحمام ، ثم قدم له أفخر المأكول والمشروب ، ثم دخل غرفة المنام فنام حتى صباح اليوم التالي .



ولما التقى بالمعلم شهوان أثنى على ثباته وشجاعته ، وبارك له الفوز ، وأطلعه على رغبة صاحبه المنظم لهذا السباق أن يلحقه بجند الأمير ، فقال علي : إن هذا العرض شرف كبير لي ؛ ولكنك تعلم يا معلم شهوان حاجتي من المجيء لهذه البلاد ..أريد أن أرى عمتي أخت والدي لتساعدني في نيل حقي من أخيها الجاحد ، ومن ثم أتزوج من ابنته التي تركتها تنتظرني على أحر من الجمر .. ماذا ردت عليك العجوز ؟

أجاب المعلم قائلا : أرسلت لها الخادم أكثر من مرة ؛ ولكنه لم يجدها ، ولكن هذه المحتالة لابد أن تأتينا بالخبر اليقين .. فالوصول إلى أم الملك ليس سهلا أيها الشجاع .. على كل انظر في عرض الأمير ..فما حصلت عليه من خير ورزق يُمكنك من الحياة في هذه المدينة في رخاء وسعادة .. وتتزوج وتنسى بلدك .. وابنة عمك ما دام عمك مبغضا لك فلن يزوجك منها وسوف يزوجها لأول طالب .

قال علي بأسف : أخشى هذه العاقبة .. ولكني بعد مقابلتي للسيدة زاهرة انظر في حالي مع هذه الدنيا الهالكة .. أرجوك يا سيد شهوان أن تقبل مني نصف الهدايا ونصف الخيول فأنت صاحب الفضل في هذا الخير .

غضب وثار السيد شهوان وقال بحدة : هذا أمر غير مقبول أيها الإنسان

.. أنا عندما رأيت جوادك الكريم عرفت أنه حصان قوي ، ومن ثم رأيت حالك الضعيفة ، فرأيتها فرصة لتحصل على بعض المال حتى إذا فشلت في لقاء عمتك الزاهرة التي تبحث عنها ترجع لوطنك ببعض المال تبدأ به حياتك الآتية .. وأنا قلت لك منذ البداية إنك وقعت من نفسي موقعا حسنا ، وأشفقت عليك ، وقررت في نفسي مساعدتك ..ولا تكثر الكلام والسلام .



وفي الصباح أخذ علي أحد خدم المعلم شهوان ، وسار به نحو بيت العجوز السالفة الذكر ، ومن حسن حظ علي أنه وجدها في البيت لم تخرج بعد تسعى في الأرض ، فاستقبلته ، ثم قالت : ذهبت للقصر وطلبت مقابلة أم الأمير .. فأخبروني أنها متعبة ومريضة وطلبوا مني الرجوع بعد يومين أو أكثر ، ثم سرت إليهم مرة أخرى ، فقالوا إنها ما زالت مريضة ولم يسمحوا لي بالدخول ، فعليك بالصبر والانتظار يا

ولدي فسوف نصل إليها بالنهاية ـ إن شاء الله ـ فقد تكون هي عمتك التي جئت تبحث عنها .

فكر علي قليلا ثم قال : أما من حيلة للوصول إليها .. فما رأيك بأن أكتب رسالة صغيرة ونرسلها لها مع إحدى الجواري .

أصاب العجوز الضحك وقالت: إنك شاب فطن .. وماذا ستكتب لها في الرسالة ؟!

فرد علي قائلا : اذكر فيها اسم عمران والدي اسم مدينتا مدينة العهد .. عمي عدنان .. فإذا قرأت السيدة هذه الكلمات ، وكانت عمتي المنشودة فسوف تفهمها على الفور ، وأما إن لم تكن عمتي فسوف تطلب اللقاء بك لتعرف مغزى هذه الكلمات .. فالفضول في النساء كبير وتشرحين لها الأمر فلنجرب أيتها الفاضلة .

أعجبت العجوز بفكرة علي ، فأحضر الخادم قرطاسا وقلما ، وكتب علي رسالة ، ونقدها عددا من الدراهم ، وقفل عائدا لبيت السيد شهوان على أمل اللقاء بها بعد يومين ، وإن حدث شيء مهم فسوف تجده في منزل المعلم في انتظارها ، ولما عرف المعلم فكرة علي سره ذلك ، وقال : حيلة لطيفة ولابد أن تؤتي أكلها ولو بعد حين يسير .

وجاءت العجوز نهار اليوم التالي وكلها لهفة وعجلة ، فهدأ علي من

روعها ، فلما خف انفعالها ، قالت : دفعت القرطاس لجارية من جواري القصر ، ولم يطل انتظاري فأدخلوني عليها بسرعة ، فوجدتها عجوزا مثلي ، وهي مريضة فعلا ، وذكرت لي أنها تعرف مدينة العهد وتعرف رجلا بهذا الاسم ، وكان قلب علي قد ارتفعت دقاته وهمس لنفسه : أمعقول أن تكون عمتي أم الأمير في هذه البلاد ؟!

وسمع العجوز تقول : وهي راغبة بالاجتماع بك لتسمع الحكاية منك ، وترى ما تستطيع أن تخدمك به .

فلم يتحمس علي للكلام الأخير فقال : ألم تعترف لك بأنها عمتي يا خالة ؟

قالت العجوز : لم تذكر ذلك .. يا ولدي عليك بلقائها .. قد لا تكون شقيقة والدك ؛ ولكن لها معرفة بأبيك .. ولا تنس أنها مريضة ..فلم تدرك من أنت .

قال علي : حسن لابد من الذهاب إليها .

ونادى خادم غرفة الضيافة وأوصاه على العجوز خيرا وقال : متى اذهب إليها ؟

قالت : في أي وقت تشاء ، فقد تركت أمرا عند حرس الأبواب ليسمحوا لك بالدخول متى تحضر .

وبينما علي ينتظر عودة المعلم شهوان ليتشاور معه بأمر زيارة قصر الأمير ولقاء أم الأمير الحاكم ، أقبل رجلان يسألان عنه وهمسا بأذنه بأنهما بحاجة لرؤيته ، وأن لهما سيدا كبيرا يطمع بمقابلته ، وذكرا له أن الأمر خطير ، والأفضل أن لا يذكر لأحد أمر خروجه معهما ، فوقع في نفس علي أنهما من طرف عمته أو ابنها السلطان ، فارتدى ثيابه وخرج معهما ، وهو مطمئن أنه سائر لقصر السلطان ، فلما ابتعدوا عن العمران وقع في نفسه القلق ، فقال : أين نحن سائرون ؟!

فقال أحدهما : السيد الكبير ينتظرك في ظل هذه الأشجار التي تبدو أمامنا .. لا تقلق أيها الفارس الشجاع .

فصمت علي وتابع السير معهما حتى دخلوا الغابة ، فأشارا إلى شجرة كان يجلس تحتها رجل ، وسمعهما يقولان للرجل الذي وقف عندما رآهم : هذا هو السيد علي يا مولانا .

ثم انقضا عليه، فرمى لهما الرجل حبلا أوثقاه به ، ولم يتكلم علي بشيء من هول الصدمة ، فقد أصابه الذهول والدهشة الشديدة للغدر الذي حل به .

فسمع السيد يقول لهما بعد أن أصبح علي مقيدا : هيا بنا ! .. لقد أحسنتما العمل ..آ .. السيد الفارس .. ينقذ الحسناوات كالأبطال .. أنا

فهد غريمك .. الذي أخذت منه ميا .. أيها الشهم .

وظلوا يسيرون في الغابة حتى أصبحوا في عمقها ، فجلسوا يستريحون فقال له فهد : كيف ترى نفسك الآن أيها البطل ؟

نظر إليهم علي بازدراء وقال : عمل الخير ومساعدة الناس تحتاج لتضحيات وثبات .

فأخذ الثلاثة بالضحك على كلماته وقال فهد : نعم .. نعم .. سوف نضحي بك .. سوف نقتلك ؛ ولكن أمام مي .. الفتاة التي أنقذتها يا بطل .

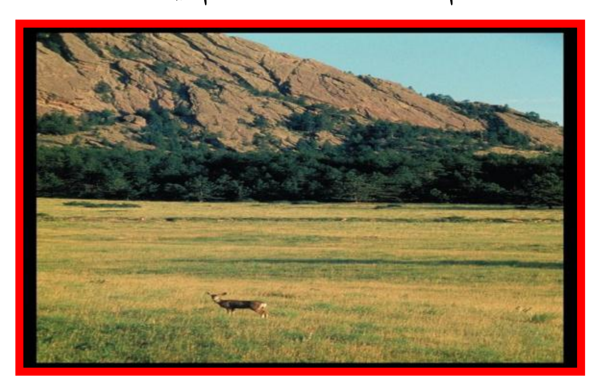
وعادوا للصمت فترة ثم تابعوا السير حتى آخر الغابة ، فكان بانتظارهم مجموعة من الرجال والخيل ، فقال علي بصوت هامس : عصابة شر .. لا حول ولا قوة إلا بالله .

فاعتلى الرجال على خيولهم بأمر الأمير ، وطرحوا علي المكبل على أحدها ، وساروا نحو الجبل ثم صعدوا إلى كهف فيه ، وهناك أنزلوه فوجد الفتاة ميا مقيدة مثله ، وحولها ثلاثة رجال ، ولما وضعوا عليا على الأرض أو رموه على الأرض ، صاح فهد بنشوة وكبر المنتصر : هذا هو فارسك يا مي ! .. سوف يقتل بين عينيك .. لأنه تدخل في شأنك وفيما لا يعنيه أيضا .

فصاحت الفتاة : يا ابن العم .. اعف عن الرجل ، وأرضى بأن أكون لك زوجة طواعية .

قهقهه فهد وقال بغرور : سأكون لك بعلا رغم أنفك .. ولكني سأنتقم منه ؛ لأنه كان سبب طردي من ديار أبي وخلعي من وراثة أبي .. ولأنه فضحني في بلدي ، وعرفوا أنني خطفتك .. فجرمه كبير!

فقد كان في وسط الكهف موقد للنار ، فتذكر علي شعرات الكلب فقال : أيها السادة بما أنكم تريدون قتلي ودمي ، ولا أحد يمنعكم من تحقيق ذلك اسقوني شربة ماء ، وقربوني من النار .. فإني أرجف من البرد ، ولما أستريح افعلوا بي ما شئتم .. ارحموا أسيركم في ساعاته الأخيرة .



رد فهد متظاهرا بالشفقة والرحمة فقال : سنفعل ذلك من أجل مي حتى تعرف أن قلوبنا ما زالت فيها الرحمة .. يا رجال حلوا قيوده وقربوه من النار ، وقربوا له طعاما وشرابا .

واقترب رجل منه ليفك قيده ـ وكان الكهف مضاء على نور المشاعل ـ

قال علي للرجل الذي يفك قيده : يا رجل لقد رأيتك ورأيتني .. ألا تذكرني ؟!

فتفرس به الرجل وقال : نعم ؛ كأنني رأيتك .

فصاح علي بصوت عال : أنا الذي دللتك وصاحبك شمرا على صناديق مال الأمير المسروقة .. ألست ذاك الرجل الذي يعمل في ديوان ذاك الأمير كما قال لي شمر ؟! .. مالي أراك مع هؤلاء اللصوص ؟!

كان فهد يتابع الكلام ويسمعه ، فاقترب منهما وقال : أتعرفه يا هذا ؟!

فقال علي وقد فك الرجل قيوده : عرفته رجلا شريفا .. وأراه هنا وضيعا وأخرج عن وسطه كيسا صغيرا ، وأخرج عقدا من الذهب والخرز ، ورماه أمام الرجل وقال بحدة : أعطاني هذا ـ وأشار للعقد ـ لأنني أرشدته لأموال الأمير المسروقة .

وكان علي قد اقترب من الموقد ، ولما ألقى العقد أرضا كان في نفس الوقت قد ألقى شعرات الكلب في النار ، وتظاهر بالاصطلاء ، وسمع الرجل يرد على فهد قائلا : هذا شاب غبي .. يا سيدي الأمير .. رأى عصابة من اللصوص تسرق أموال أحد الأمراء، وأتى المدينة ليخبر الحاكم ، فمن حسن الحظ أنه التقى بصديق لي اسمه شمر ، فأضافه وسمع منه الحكاية فرسمنا خطة لأخذ المال لأنفسنا ، وهو يعتقد بأني من

رجال ديوان الأمير ، فأرشدنا لمكان إخفاء الصناديق المسروقة ، وأعطيته هذا العقد ليظن أننا من حاشية الأمير .. فهو كما ترى أيها الأمير يحب الخير .. فكما أنقذ منكم ميا لحبه الخير ، أراد رد الصناديق المسلوبة للأمير.. فاقتسمت الغنيمة أنا وشمر ؛ ولكن أحدهم فسد للأمير بالسر ، شخص يسمى حربا ، فقبض على شمر وألقى في السجن ، وهربت والتحقت برجالك .. فأنا مطارد من العصابة التي أخذنا غنيمتها ، ومطارد من رجال حاكم بلادنا ، وأما أموالي فقد وضعتها في مكان أمين .. فهذه قصتي ومعرفتي بهذا الأحمق .

التفت إليهم علي فقال : شمر مسجون ، هذا جزاء الخيانة والغدر .. صدق يا هذا أنه وقع في قلبي خيانتكما ؛ لكن العجلة دعتني في عدم التدقيق في أقوالكما وأحوالكما ، وأحببت أن أصدق سمعي وبصري ، ولا أصدق قلبي وعقلي .. فقد صنع معي شمر معروفا من ضيافة ونوم ، فتصنعت الاطمئنان ، واعلموا أيها السادة أنه مهما فعلتم فيّ سأبقى أحب الخير وأدافع عنه وأصنع المعروف للآخرين ، فالله هيأ لي مقابل ذلك من يصنع لي خيرا .. وأنت أيها الأمير المسمى فهدا خير لك أن تتوب وترعوي ، وتعيد ميا لأهلها وتتوب إلى الله ، ثم تعتذر لوالدك وأهلك .. واعلم أن ميّا عندما رفضت الاقتران بك ؛ لأنها رأت فيك

أخلاقا سيئة وفاسدة ؛ ولو رأتك شهما كريما لرضيت بك .

فأخذ الرجال بالضحك والتعليق على كلمات علي ، وقالوا : يا هذا أنت مثال الخير ، ونحن مثال الشر .. وها هو الشر ينتصر على الخير .. وسنخلص العالم من رجال الخير ، وقد بدأنا بك .

وارتفع صوتهم بالضحك والسخرية من جديد ، فلما عادوا للصمت قال علي وقد انتهى من الأكل والشرب الذي وضعوه بين يديه : الله تعالى يأبى إلا أن ينتصر الخير في كل نهاية وعاقبة وينسحق الشر أمام ضربات الخير.. وإن بدا للشر جولات وجولات .. فالله يسخر للخير كل الأشياء من الشجر والحيوان والسماء والأرض .

في هذه اللحظات سمع نباح كلاب قادمة نحو الكهف فصاح أحد الحرس : يا قوم إن عددا من الكلاب يصعد نحونا ؛ كأنها تهاجم الكهف .

فقال علي بفرح وشماتة بالعصابة : هذه جنود الله الحق ! .. أيها السادة إنها آتية لتنقذنا أنا وميا منكم .

فأمر فهد رجاله بدحرجة الحجارة على الكلاب ، فتحركوا بسرعة ؛ ولكن الكلاب الكثيرة استمرت بالصعود ، فازداد الخوف بقلوب الرجال ، فهي بالعشرات إن لم تكن مئات ، وأخذ بعض الرجال بالهرب

إلى قمة الجبل ، فقال علي لمي : لا تخافي هذه الكلاب سخرها الله لنا لحمايتنا من هؤلاء الأوغاد ..

فتفرق الرجال وبعضهم لاذ بعلي ومي وهم في غاية الذعر ، وبعد قليل دخل الكلب الأحمر الكهف ـ الكلب الذي اسقاه الماء في بداية الرحلة لعمته زاهرة ـ واقترب من علي ودار حوله وهو يقول : لقد لبينا النداء يا سيد علي .. ماذا تطلب منا ؟ .. لقد مزق أصدقائي بعض الرجال .

فلمس علي رأس الكلب بيده وشكره وهو يقول : أيها الكلب الوفي ! .. نريد أن نعيد هذا الفتاة لقومها .. وتحميها من هذا الرجل ـ وأشار لفهد ـ القابع كالأرنب من الخوف .

فقال الكلب وهو يقترب من فهد : أنقتله ؟!

فتوسل فهد لعلي بأن يكف الكلاب عنه ، وتعهد أمامهم أن يدع الأميرة تعيش بسلام ، وأن لا يعترض لها بأذى ، وأنه نادم على موبقاته وجرائمه ، وتساقطت دموعه أمامهم عندما رفع الكلب ذراعه وصفعه بها ، فنظر علي لمي فأشارت بالعفو ، فطلب علي من الكلب أن يعفو عنه ، وأخذ الفتاة وأعادوها لأهلها مرة أخرى ، ورجع علي لمدينة القمر مرة أخرى ، فوجد المعلم شهوان قد قلب الدنيا بحثا عنه ، فقص عليه قصة خطفه ثم نجاته من المجرمين ، ولما اطمأن المعلم على ضيفه أو نزيله ، قال : لقد

وصل خبر اختفائك للأمير شبيب .. علينا أن نذهب لمقابلته ..ثم تقوم برؤية أم الملك فقد روت لي العجوز ما سمعت من الأم .



وبعد أن خرج علي من الحمام وكساه المعلم حلة جميلة ، ذهبوا لقصر الأمير الحاكم فقص علي عليه قصته من الأول للآخر ، فعجب الأمير منها ، ثم قال : أيها الشاب حدثتني أمي عن شاب يبحث عن عمته زاهرة فهو أنت إذن ..أرسلت وراءك ، فقيل إنك اختفيت فدهشنا وقمنا بالبحث عنك نحن والمعلم الكبير شهوان .. وأما وقد عرفنا سبب اختفائك المفاجئ فسندخلك على الوالدة .

وكان الأمير قد أرسل غلاما لأمه يخبرها بمجيئه بالشاب ، فعاد الغلام يقول : إنها بانتظاركم .

ولما دخلوا عليها وجدها علي عجوزا هرمة منهكة من المرض والسن ، فدنوا منها فسمعها تقول له: هل أنت حقا ابن عمران ومن تلك البلاد ؟

قبل علي يدها اليمنى وقال : نعم يا مولاتي .. أنا علي بن عمران من مدينة العهد!

فقالت بصوت ضعيف يكاد أن يسمع : وهل مات عمران حقا يا علي ؟

رد بحزن : نعم .

قالت وقد تساقطت دموعها : إذن كلام العجوز صحيح .. أنت الذي أرسلها ؟

قص عليها علي القصة من جديد ، وكانت تسمع وتبكي ولما انتهى ، قالت : أنت ولد مبارك يا علي! .. وليرقد والدك في قبره مطمئنا عليك .. اعلموا يا أولادي أن هذا الفتى هو ابن أخي حقا .. إنك تذكر يا شبيب ذاك الرجل الأشيب الذي كان يزورنا بين الفينة والأخرى .. هو أخي عمران ابن أمي وأبي .. وأنا تزوجني أبوك منذ أكثر من خمسين سنة .. لقد كان يومها مارا في بلاد العهد فرأني وخطبني من أمير المدينة ، فكلم الأمير والدي برغبة أبيك من الزواج مني ، فوافق أبي ـ رحمه الله ـ وجئت إلى هنا ، ولم يكن لي اخوة يومها إلا عمران ..ومع الأيام انقطعت صلتي بتلك المدينة ..بل لم أرها منذ تزوجت ،كان يزورني والدي في أول سنوات الزواج ، ثم اختفى من حياتي ، وكان يتردد عليّ أخي عمران من حين لآخر ، فيذكر لي أخبار الأسرة .. فأخبرني عن موت أبي ، وأمي

كانت قد ماتت قبل زواجي من والدكم الملك ، ثم علمت من أخي عمران أن والدنا قد رزق قبل موته بصبي سماه عدنان ، ومات أبي عنه وهو دون العاشرة ، ثم أعلمني عمران في إحدى السفرات أنه تزوج ووهب مولودا ذكرا سماه عليا .. وبعدئذ انقطعت أخباره فوقع في حدسي أنه قد مات ، فلي أكثر من عشرين سنة لم أسمع عنه شيئا إلا منذ أيام عندما جاءتنا العجوز بتلك الرسالة .. فأنت حقا يا ولدي ابن أخي عمران ..اقترب مني دعني أقبلك .. أنت من ريح أهلي .

دنا علي منها فقبلته وداعبت شعره ، ودعت له وقالت : ولدي شبيب .. هذا ابن خالك .. ساعده ..فاكتب رسالة لأمير تلك النواحي ليأخذ له حقه من عمه ويزوجوه من ابنة عمه وأكرم وفادته ، وإذا رغب بالحياة في بلادنا فأكرمه غاية الإكرام وليبق على الرحب والسعة والمحبة .

فتعهد الابن أمامها بتحقيق كل رغباتها ، وقال علي وقد قبل يد عمته مرات : الحمد لله إنني التقيت بك يا عمتي .. أنا جئت لاجئا إليكم حسب رغبة أبي لتأخذوا لي حقي من عمي الجاحد ولابد أن ابنة عمي سعاد في انتظاري .

تمت

قصص الزمردة



١- وسيم والأميرة المغرورة

٢- جلد الأسد

٣- همام وجؤذر

٤- عمتي زاهرة

٥- سليم في الغابة المسحورة

٦- نحيف وعريف